هو مجرد ممارسة حاول النحاة تبريرها بعد أن اكتملت نظرية بعضها على جانب كبير من البساطة» [1].

ونحن نؤكد هذا الاحتراز لأنه يجنبنا إسقاط مكتشفات اللسانيات بشكل غير أنيق على التراث وما يستتبعه من خلط تاريخي.

ولولا هذا القيد، لأصبح احتفاؤنا بالمنوال النحوي العربي وبعض النصوص النظرية لابن جني وغيره بصفة موضوعية دعوة إلى اكتفاء التراث بنفسه وانغلاقه باعتباره يمثّل نظرية متكاملة تضاهي النظرية اللسانية الحديثة وهو إنكار للحداثة ورفض للعصر الذي نعيش فيه.

أما قولنا بعد هذا التدقيق فإنه إذ يبرز قيمة التراث النحوي بالنظر إلى تراث حضارات أخرى ويثريه، فإنّه يدرجه ضمن تطور علم اللسانيات. ونحن نزعم أن النظرية اللسانية هي وحدها الكفيلة بمدّ قارئ التراث بمفاتيح تأويل ناجعة، بحيث تظلّ فرضياتها هي المستوعبة للتراث والصانعة لمعناه.

ويسمح هذا الطرح للقضية من الانتفاع من كل تطور نظري حقيقي يجدّ في دراسة اللغة لأنّه ينفي صفة التقديس المميت للتراث.

ومن أوضح سبل الانتفاع هذه:

- تدقيق الشبكة الاصطلاحية للمنوال النحوي العربي. وقد خطا الباحثون في هذا الباب خطى هامة. وللجامعة التونسية مساهمة مشهودة أشرنا إليها في التمهيد.

- ومنها أيضا إعادة صياغة المنوال النحوي وتعقيد مكوناته ومضاعفة مستوياته وإضافة محلات نحوية جديدة له. وهو ما تدّعيه بعض الأعمال الجامعية التونسية الحديثة [2].

---

1 Actes du VI congrès international des linguistes. Paris 1949 p. 474.
من 9 من أطروحة الأستاذ المهيري: Les théories grammaticales d'Ibn Jinni.

2 محمد صلاح الدين الشريف: الشرط وجوابه وما يطرحه من قضايا في معالجة العلاقة بين الأبنية النحوية والدلالية. إشراف الأستاذ عبد القادر المهيري. تونس 1993.